أيدي سبا لانهم لم يتربوا على الاجتماع ولا يقدرون الاعمال الاجتماعية قدرها. وليس عندهم شيء من اخلاق الرجال. كالصبر والثبات والاحتمال. نقول في الامة (المجازية) ماقلنا في شأن الاطفال انها في اشد الحاجة الى المرشدين والمربين الحكماء العارفين بالامراض الاجتماعية وأدويتها وطرق علاجها لتكون بهديهم امة حقيقية. وقد يوجد فيها افراد منهم يشاركهم في عملهم اكثر منهم من المتصدرين الجاهلين يهدمون مايبنون ويفسدون مايصلحون. (ويحسبون انهم على شيء ألا انهم هم الكاذبون) وقد صار هؤلاء الاطفال في احلامهم الرجال في اجسامهم في حيرة وغمّ عليهم الامر باختلاف المرشدين ويميل الاكثرون الى من لايكلفهم عملا ولايلصق بهم عارا ولا زلالا وسنبين مثارات الحيرة ومناشيء الغمة في مقالة اخرى ان شاء الله تعالى

باب التربية والتعليم

أميل القرن التاسع عشر

(٢٠) من هيلانه الى اراسم في ٣١ يونيه سنة ١٨٥

اكتب اليك أيها العزيز اراسم قياما بما اخذته على نفسي من احاطتك علما بما أفعل وما أرى وماأسمع فأقول

اتفق لى منذ بضعة أسابيع ان كنت في بيت صديقك الدكتور فرأيت عنده رجلا من ايقوسيا وهو شيخ طويل نحيف علمت انه من أصدقاء ذلك البيت وانه غادر بلاده لاسباب مجهولة عندي ولكونه لايستطيع المعيشة بعيداً عن منظر البحر والصخور والرمال قد نزل بكورنواي الى حين. يبدي هذا الرجل من التنطع والتشدد في آدابه وهيآت افعاله مالو أبصرته الفرنساويات لضحك عليه كثير منهن على ماأرى فانه اذا سعل يسعل بانتظام واذا دخلت عليه سيدة في قاعة الاستقبال وثب قائما كأنه

حرك بلولب واقبل بوجه فيه من تكلف الوقار والرزانة مايحاكي تكانه في شد رباط عنقه واتقانه ومهما كانت حاله فهو هنا محترم مبجل ولا غرو فانه ساح في كثير من البلدان ويحسن التكلم بالفرنساوية ولديه بحسب ماأرى ذخر عظيم من المعارف . يسمى الرجل السر جون سانت اندروز وأخص ماانشغل في سياحته البحث في التربية وزيارة مدارس انكلترا وايقوسيا وقارة أوربا وجملة قولي فيه ان حديثه يهمني ويفيدني ولما كنت أعلم ان موضوع انظاره وابحاثه داخل في نوع ماتبحث فيه وتشتغل به أصغيت اليه لاجلي وأجلك .

فما قاله لي ان الناس في بريطانيا العظمى يهتمون قبل كل شيء بانماء القوى الجسدية في الناشئين فبالرياضات البدنية تنشأ أعضاؤهم من صغرهم قوية تناسب الرجولية وتهيئ أجسامهم لخدمة عقولهم وعزائمهم وهذا هو سبب عنايتهم بالرياضات والالعاب التي تخالف ماعندنا مخالفة جوهرية .

نعم انه يوجد في المدارس الانكليزية ماتسميه في مدارسنا الفرنساوية فن التمرين البدني (الجنباز) الا ان التلامذة الانكليز لايرغبون فيه كثيرا ويفضلون مايكون في ألعابهم من التمرن والارتياض على مافي هذا الفن من أنواع التدريب المنتظمة التي تحصل عن أمر المعلم وتحت رعايته فهم يختارون بكمال حريتهم مايرتاح اليه نفوسهم من ألعاب المصارعة والمغالبة فلهم في ألعاب الكرة التي منها ضربها بالصولجان ومنها دحرجتها على الارض وفي العدو والملاكمة وغيرها من طرق التسلي وسائل متنوعة تنمي فيهم قوة الاعضاء وتجعلهم يزدادون بالتعب شدة وصلابة

فاني يوجد بعد هذا رعايا أكمل من الانكليز استعدادا للمصارعة والكفاح ؟ أليس الانكليز هم أول الناس اقتحاما لقمم أعلى الجبال المعروفة ؟ أليسوا هم في الهند واستراليا وزيلاندا الجديدة وفي جميع بقاع الارض التي فيها اخطار تقتحم يقاومون صعوبة الاقليم والعوارض الكونية والأمم الوحشية ؟ فاي أثر للعقبات الطبيعية في تلك المزاعم الثابتة التي تقوم لها بمطالبها عضلات هي الحديد بأسا وشدة .

لم يوضع القانون في معاهد التعليم والتربية الانكليزية الا لما تدعو اليه الضرورة

المطلقة من حفظ النظام فيهـا يدلك على ذلك ان مدير مدرسة من المدارس الكبرى كان قد أمر مرة على خلاف عادته ان تراقب التلامذة في ملعبهم لكنه لم يلبث ان تبين خطأه في هـذا الامر وندم عليه واعترف من ذلك الحين بان هذا التضييق كان يميل بانفس التاشئين الى الانحطاط ميلا ظاهرا .

التـلامذة الانكليز في ساعات الاستراحة من الدرس أحرار فلهـم ان يخرجوا ويتنزهوا في المدينة التي يكونون فيها أو في المزارع غير محتاجين في ذلك الى أحد يرشدهم أو يراقبهم فيمضي كل منهم الى حيث يشاء ولا يطالبهم معلموهم الا بأمر واحـد وهو ان يكونوا في سيرتهم كما يكون سراة الناس أدبا ولطف معاملة والكلمة المقابلة في اللغـة الانكليزية للفظ سراة هي « جنتلمين » ومن الصعب ترجمتها بالفرنساوية ويعني بها من بلغوا غاية الكمال في التربية والتهذيب فان وصف الشرف والسيادة يستفاد من التربية أكثر من استفادته من النسب فقد ينسلخ عمن ناله من جهة النسب ولو في نظر غـيره اذا هو تلبس بسافل العادات وسفساف الاخلاق . من أجل هذا كان الخوف من انحطاط القدر وسقوط المنزلة في أعين أهل الفضـل والادب له من السلطان حق على نفوس التاشئين مالا تبلغه جميع أنواع المراقبة التي يتصورها العقل . يقول الانكليز « اذا أردت أن يصبح ابنك رجلا في طفوليته فعامله معاملة الرجال » وهذا هو الاصل الذي يجرون عليه في التربية .

اني أخالك تندهش اذا لاقيت عددا عظيما من الغلمان الانكليز في السفن البخارية والمركبات العامة وارتال السكك الحـديدية يسيحون وحدهم باذن أهليهم زمن عطلة المدارس وهم في حداثة السن . ولكنهم على مافي هـذا من الخطر يعرفون كيف يتوقون المعاطب وكيف يعودون الى مواطنهم ويقول الانكليز تعليلا لذلك فوق ماتقدم انه هو الوسيلة الى استقلال هؤلاء الغلمان يوما ما بسلوك طريق الحياة في هذه الدنيا .

يثق الانكليز بالاطفال ثقة عظمى فاذا أخل بها هؤلاء أحيانا فلا بدع في ذلك لان من يرجو منهم ان يكونوا من الحكمة والدراية في درجة أعلى مما يقتضيه سنهم فهو واهم في معرفة الطبيعة البشرية الا انه قد شوهد ان مايقع منهم من الخطأ يسـهل ان

تسد تلامذته اما تثقيف ما اعوج من الطباع بسبب سوء الظن والقهر فهو في غاية الصعوبة

لابد ان يكون لهذا النوع من التربية قوة معنوية تتأثر بها نفوس الناشئين فاني أراهم هنا أهلا لان يديروا بعض أعمال تقتضي كثيرا من وفرة العقل وتمامه وقد ضرب لي في هذا الموضوع مثل بتاجر من كبار التجار في لوندره كان مذ بلغ الرابعة عشرة من عمره يجوب شوارع المدينة متأبطا محفظة مملوءة باوراق المصارف (بنك نوت) ويعامل وهو في هذا السن عدة من المحال التجارية باسم أبيه وليس مايلقيه الانكليز في اذهان أولادهم وهم صغار من الثقة بانفسهم والاعتماد عليها قاصرا على مايكلونه اليهم من الاعمال التجارية والصناعية بل انه يشمل ايضا الفنون العقلية كالشعر والانشاء وغيرهما من الصناعات الفكرية . نعم ان الانكليز ليسوا بلا ريب احسن ولا اعلم من غيرهم ولكنهم لتعودهم من نعومة اظفارهم الاستقلال في سيرهم بمعارفهم الذاتية وتحملهم تبعة اعمالهم يظهرون في كل شيء اكثر منا قياما بأنفسهم واذا لم ابال بالتصريح بكل ماريده قلت انهم اقل منا شبها بخراف پانورج (١)

الساعات المقررة للدروس في المدارس الانكليزية هي في الجملة اقصر منها في المدارس الفرنساوية ويؤكد الناس هنا ان هذا الامر لاينقص من نجاح التلامذة ولا يضر بتقدمهم كما قد تتوهمه لان الطفل لايقتصر في تعلمه على مافي الكتب بل انه يتعلم كذلك مما يراه اثناء تنزهه في المشاهد الجميلة والمناظر الانيقة ويستفيد استفادة حقيقية مما يكون بينه وبين رفاقه من المحاورات والمحادثات وما يتلقاه من اهله من الدروس النافعة في المعيشة اليومية . فهل من الضرورة المؤكدة ان يغل عقل الطفل من الصباح الى المساء حتى يكون من مشاهير الرجال ؟ لايعتقد جيراننا ذلك قطعا بل يرون ان في راحة التلامذة اي ترويح نفوسهم بالالعاب الرياضية المتنوعة شحذا لاذهانهم وتقوية لعقولهم .

(١) پانورج هو احد الممثلين في رواية هزلية للكاتب الشهير ربلي وله خراف عاملها تقليد خروف لممثل آخر في هذه الرواية اسمه دندينولت انتقاما منه فصار يضرب بها المثل في التقليد

وهم في تأييد هـذا الرأي يضربون مثلا مدارس قلات ايضا في هذه الايام الاخيرة ساعات الدروس في فرقها وشغلت التلامذة فيما وفرته منها باعمال يدوية نافعة فضاعفت بذلك فيهم قوتي التنبه والحكم . اذا كان هذا كذلك كان ماصرف من الزمن في تلك الاعمال غير ضائع بل عائدا بالربح على التلامذة في استفادتهم من الدروس لان نجاحهم لا يقدر بطولها وانما يقدر بسهولة ادراكهم مافيها من العلوم وتحققهم بها .

ان أخص غاية يرمي اليها الانكليز في التربية هي سلامة العقل وهم يقولون ساخرين ما أجمل مايعود على الطفل من الفوائد والمزايا اذا كان القائمون على تربيته يضعفون فيه الاعصاب المعدة للادراك والفهم بالافراط في اجهادها ويفيضون ما في عيون قريحته من مادة الذكاء الغزيرة بحثه على العمل لاحراز مالا ثمرة فيه من قصب السبق في امتحاناته فكم من السابقين في هذه الامتحانات يأكلون بهذه الطريقة مايزرعون قبل ابان صلاحه أعني انهم ينفقون كل مالديهم من المواهب العقلية قبل ان يصلوا الى ثمرتها .

ليست العبرة عند الانكليز بتعليم المعلمين بل العبرة بما يعمله التلميذ ويتعلمه بنفسه . ومما يحكي تأييداً لصدق هذه القضية انه كان يوجد في احدى دوائر الخوارنة بايقوسيا مدرسة فيها قسمان من التلامذة داخلي وخارجي وكان جل عناية صاحبها موجها للقسم الاول ضرورة انه هو الذي كان يعتمد عليه اولا في انماء كسبه ومن أجل هذا كان يقضي مع تلامذته كل سهرته في اعدادهم لتلقي درس الغد ولكن أتدري ماذا كان يحصل في مدرسته؟ كانت تلامذة القسم الثاني وهم من أبناء فقراء المزارعين الذين يسكنون الكفور والخصاص المجاورة للمدرسة على ماهم فيه من حرمانهم من معيد يكرر لهم الدروس واشتغالهم باعمالهم المدرسيه في زوايا تلك الخصاص على ضوء نارها في غفلة من اهليهم عنهم كانوا يظهرون عادة على تلامذة القسم الاول ويفوقونهم كثيرا مع اجهاد مدير المدرسة نفسه في تقويمهم وتمرينهم فعظمت بذلك دهشة ذلك الرجل ولكنه لما كان ذا لب وفكر أخذ يبحث عن سبب هذا الامر الذي ملأه سآمة وضجراً فلم يلبث ان عرفه وهو ان التلامذة الداخليين كانوا يفرطون في الاعتماد على تعليمه اياهم التعليم الآلي الذي لا عمل لفكرهم فيه ويشتغلون لكن لا بأنفسهم بل كآلات يديرها محركها واما التلامذة الفقراء سكان الاكواخ فلما كانوا مضطرين الى حل رموز ما يتعسر عليهم فهمه

من المسائل بأنفسهم كانت أذهانهم في يقظ ولذلك كانوا يشحذون قرائحهم ويقوّون مداركهم بالمناقشة والمنافسة وكان في انقطاع المعلم عن رعايتهم أثناء مدارستهم الليلية مزية لهم فلا جرم انهم سبقوا الى المقاعد الاولى في فرقهم نهارا . استفاد المعلم من هذه الحكمة التي أهدتها له التجربة فترك من ذلك الحين التلامذة الداخليين وشأنهم مقتصرا على ان يعطيهم كغيرهم مواد العمل وأدواته مثل كتاب في النحو وقاموس وكان من وراء ذلك انهم لم يلبثوا ان ساووا أقرانهم في درجتهم . تعلم من ذلك ان شأن جيرانا في التربية كشأنهم في جميع الامور الدنيوية وهو انهم يرجون من عمل المرء بنفسه من الخير ما لا يرجونه من وسائل المعونة والمساعدة كائنة ما كانت فشعارهم فيما هو « استعن بنفسك يعنك معلمك » .

ربما كان أهل ايقوسيا أيضا أكمل من الانكليز عناية بأمر التربية فقد اشتغلوا به كثيرا في هذه الايام الاخيرة .

يوجد في ايدنبورج على ما سمعت مدارس ابتدائية لا يكتفي فيها المعلمون بتعليم التلامذة مواد العلوم بل انهم يبذلون قصارى جهدهم في تأديب طباعهم وتهذيب أخلاقهم فهم يعملون لتطهير نفوسهم من خبيث الرذائل كالاثرة والغش والظلم والكذب والقسوة على الحيوانات وليست طريقتهم في ذلك مجرد القاء القواعد والتعاليم المبهمة المجملة بل انهم يرجعونهم الى وجدانهم الفطري ويذكرونهم بشرف الانسان وسموّ منزلته على سائر أنواع الحيوان فالاطفال في هذه المدارس هم الذين يحكم بعضهم على بعض في كثير من الاحوال ويقدرون بانفسهم درجة أفعالهم في الحسن أو القبح .

ولو شئت لسردت لك كثيرا من الحكايات في هذا الموضوع ولكني أكتفي بان أقص عليك واحدة منها ليكون في ذهنك صورة لتلك الطريقة فاقول

تأخر تلميذان ذات يوم عن الوقت المقرر لدخول المدرسة بربع ساعة وهما اخوان في الرابعة أو الخامسة من عمرهما فقرر المدير ان يسئلا عن سبب التأخر ويقبلا في فرقتهما بلا عقاب ان أبديا عذرا صحيحا وجعل الحكم على صحة العذر وفساده للمدرسة بتمامها كما هي العادة عنده في جعلها محكمة شرف تقضي على التلامذة ولهم فيما يفعلون فلبثا مثل المتهمان الصغيران أمام هذه المحكمة اعتذرا متعاقبين عن تأخرهما بانهما صادفا في طريقهما دودة غليظة لم يكونا رأيا لها نظيرا في

حياتهما فراعهما منظرها وملئا منها عجبا لان هذه الحشرة كانت تتمثل في اشكال وأوضاع غير معهودة لهما فكانت تارة تقف على ذيلها وطورا تمتد على الارض وآونة تكون ذات أنثاء ملتوية وانهما بينما كانا يصرفان زمنهما في مشاهدتها كانت تنساب حتى بلغت عوسجا فغاب منهما أثرها فيه — فلم يمهلهما المدير ريثما يتمان قولهما بل سألهما لماذا لم تقتلا هذه الدودة فحدق اليه الغلامان ولم يحيرا جوابا فاستأنف السؤال قائلا اما كان لديكما من الوسائل ما يعينكما على قتلها حتى كنتما بذلك تقطعان سبيل بطائكما في الطريق ؟ فقال له أكبرهما بلى كنا قادرين على قتلها من غير شك ولكنا لو كنا أتيناه لكان ذلك مناشرا وقسوة فقوبلت هذه الكلمات من جميع الحاضرين بالاستحسان والتحيذ وحكم ببراءتهما من التقصير .

من ذا الذي لا يرى في محاكمة الطفل الى لداته وأقرانه جرثومة وضع المحلفين (١) الذي يعتبره جميع العارفين به معقلا يذاد فيه عن حمى الحرية بجميع أنواعها في انكلترا وايقوسيا ؟ لاشك ان هذا أخذ بالناشئين في طريق الوصول اليه والاشراف بهم عليه من بعيد ولا بدع فان جيرانا يزعمون ان التبكير في تربية وجدان التكليف في نفس الطفل لا افراط فيه يذم مهما توسع في التعجل به ففي رأيهم انه متى اريد ان تكون الحكومة على صورة ما يجب ان تهيأ لقبولها نفوس الناشئين وان ما يحفظ القانون ويضمن بقاءه من انواع الكمالات لا يستقر الا بارتياض الناس به من بداية عمرهم ودوام اعتيادهم عليه ومما اذكره هنا ما قاله لي الشيخ الايقوسي الذي حدثتك عنه وهو « انا لا اشير على اي بلد باختيار طريقتنا في التربية ما لم يقارنه زرع ما دينا من ضروب الحرية في نفوس اهله فنحن في بلادنا نحتاج الى رجال مطبوعين على حب الاستقلال موافقة لما تقتضيه قوانيننا واوضاعنا اكفاء لاطالة مدة بقائها بما يكون منهم في سبيل ذلك من المجاهدة الشديدة . وان طريقنا في تربية الاطفال اذا اتبعت في غير بلادنا نشأت عنها رعية يتعذر حكمها وسياستها » اه

الاجتماع العام . في جمعية شمس الاسلام

انتظم عقد الاجتماع العمومي في ليلة الاثنين ٢٨ رمضان وافتتحت الجمعية بحمد الله والصلاة

(١) وضع المحلفين هو نظام مقتضاه انتخاب طائفة من أهل الوطن يحلفون على اتباع الصدق والامانة وتعرض عليهم القضايا الجنائية ليقرروا أتمة المتهمين او براءتهم